توجه «كتاب زايد» بجائزة «شخصية العام الثقافية»

أمين معلوف.. تخصيب التاريخ بالسرد

الأربعاء - جدة

عند اندلاع الحرب الأهلية في لبنان يوم ١٣ أبريل ١٩٧٥ كان الكاتب والروائي أمين معلوف قد تخطى عتبة عامه الـ(٢٦) بشهر ونصف تقريبًا؛ حيث إنه رأى النور في يوم ٢٥ فبراير ١٩٤٩م، فعايش أهوال تلك الحرب اللعينة وهو في طرة الشباب وعنفوانه، وملازمًا لتفاصيلها الدرامية المأساوية التي امتدت لأكثر من (١٥) عامًا و(٧) أشهر، حيث وضعت الحرب أوزارها في يوم ١٣ أكتوبر ١٩٩٠م بعد اتفاق الطائف الشهير.. رحلة مأساوية بكل تفاصيلها الظاهرة والمستترة، ألقت بظلالها البائنة في المنتج الأدبي والفكري لـ«معلوف»، سواء في رواياته أو نصوصه الأوبرالية أو مؤلفاته الفكرية، فكل هذه الحقول دخلها «أمين» على إيقاع الصراع والنبش في ذاكرة التاريخ، مستلهمًا منه روح رؤيته، لتستمد رواياته من أضابير ذاكرة التاريخ، وتنطلق رؤيته الفكرية لأحداث التاريخ من خصوبة مخياله السردي، فجاء نتاجه في ذلك متسارع الأنفاس، متلاحقًا في سنوات متقاربة، لا يكاد يفصل بين مؤلف وآخر سوى ثلاث أو أربع سنوات على أقصى الاحتمالات الزمنية امتدت ما بين ١٩٨٣م، إلى العام ٢٠١٠م. حيث فاجأ «معلوف» القرّاء بكتابه الأوّل بالفرنسية: «الحروب الصليبيّة كما رآها العرب» في العام ١٩٨٣م، بما كشف عن بواكير اهتمام قلمه بالنبش في التاريخ وإعادة قراءته بصورة متماهية مع السرد، كما أظهرت قدراته في «التحليل الموضوعي والتجرّد العلميّ مستندًا إلى نزعة إنسانية تميّز كلّ أعماله، يأسف فيها للدّماء المراقة ولهذا العنف الشامل الذي يجعل من هذه الحروب في رأيه لا سلسلة حروب دينيّة فحسب كما يرى بعضهم، بل صدمة حضارات حقيقيّة قد يكون أثرها ساريًا حتّى اليوم»، بحسب ما ذهبت إليه جائزة الشيخ زايد للكتاب في مسوغات منحها لقب «شخصية العام الثقافية» في دورتها العاشرة هذا العام.

معلوف

أما على مستوى رواياته التي تستلهم التاريخ البعيد، فقد قدم «أمين» «ليون الأفريقيّ» في العام ١٩٨٦م، ثم تبعها برواية «سمرقند» في العام ١٩٨٨، و«حدائق النور» التي قدمها بعد ثلاث سنوات وتحديدًا في العام ١٩٩١م، لينتقل بقلمه عالم الخيال العلمي برواية «القرن الأوّل بعد بياتريس» التي طرحها في العام ١٩٩٢، متكئًا فيها على خلفيّة هموم معاصرة، وغاص في تاريخ لبنان الحديث، وما شهده من مآسي وويلات ليقدم رواية تميزت بحالة من تماهي السرد مع التاريخ بشكل عبرت عنه الشخصيات المأزومة بالتجوال والتيه، حيث يبرز ذلك في روايته «صخرة طانيوس» التي صدرت في العام ١٩٩٣، ثم عاد إلى أزمة التاريخ اللبناني مرة أخرى في رواية «موانئ الشرق» رواية في العام ١٩٩٦. وطرق الجانب الفكري بقلمه في العام ١٩٩٨م عبر مؤلفه «الهويّات القاتلة»، وعاد «معلوف» بعد عامين ليفتح فتح نافذة الرواية فأطل على الساحة في العام ٢٠٠٠م برواية «رحلة بلداسار»، تبعها بمؤلف حمل نصوصًا أوبراليّة تحت عنوان «الحبّ عن بُعد» عام ٢٠٠١م، وقدم في العام ٢٠٠٤م مؤلفين في دفعة واحدة أولهما كتاب ينتمي إلى السّيرة الذاتيّة واستعادة التاريخ العائليّ بعنوان «بدايات»، والآخر نصوص أوبراليّة تحت عنوان «الأمّ أدريانا»، وعلى ذات النسق الأوبرالي قدم «مأساة سيمون» في العام ٢٠٠٦م، و«إيميلي» في العام ٢٠١٠م، ليعود من حيث بدأ إلى عالم الرواية مقدمًا «التائهون» في العام ٢٠١٢م.

إن مجمل هذه التجربة مع الحرف وعالمه، والرؤى التي طرحها في مشروعه الكتاب، تبين أن «أمين» يؤسس لعالم أدبيّ قائم على التّرحال، وعلى تعدّد الهويّة أو التعدّد الثقافيّ، لا بمعنى نكران الوطن الأمّ أو الثقافة الأصليّة، بل بمعنى الحقّ في مواطنيّة عالميّة وإنسانيّة متّسعة تشمل أكثر من لسان، وأكثر من ثقافة، وأكثر من ارتباط جماليّ وفكريّ وثقافيّ».